المثنى : إن إخوانَنا قد غلبوه بالشام فهرَب منهم إلى أقْصَى الشمال، وهرقل هذا هو الذي غلبَكم منذ بضع سنين ، أفلا نغْلبكم أنتم.

جابان : يا مُثنى بني شيبان، إنك تتكلم الساعة وأنت مُنتصِر وأنا أسِير ، ولا غَرْو أن تغْلبني بالكلام ، ولكنك سَتَرَى غداً أنني سأغْلبك بالفعل لا بالقول.

المثنى : (غاضباً) ياعدوَّ الله ، والله إن خرجْتَ لقتالنا مرة أخرَى فنَجوْتَ مني ، فلا كنتُ ابن حارثة !

المشهد الثالث

مقصورة في إيوان كسرى بالمدائن ، يتصل بها عن يمين المسرح مخدع بوران الملكة .

يرفع الستار فنرى رُسْتُمَ واقفاً لا يحول عينيه عن باب المخدع ، وهي في حالة وجد وهيام واضحين . ثم يفتح الباب فإذا الوصائف يسرن إلى الوراء وهن يفرشن على الأرض سجادة طويلة ، حتى تصل إلى الأريكة التي ستجلس عليها الملكة ، وإذا الملكة بوران تدخل في كامل زينتها ، والجواري من خلفها يحملن ذيل حلتها الطويل فتبدو كأنها الطاووس ، حتى تجلس على الأريكة .

رستم : (يتقدم نحوها ويركع) صُبِّحت بالخير

المثنى : إن إخوانَنا قد غلبوه بالشام فهرَب منهم إلى أقْصَى الشمال، وهرقل هذا هو الذي غلبَكم منذ بضع سنين ، أفلا نغْلبكم أنتم.

جابان : يا مُثنى بني شيبان، إنك تتكلم الساعة وأنت مُنتصِر وأنا أسير ، ولا غَرْو أن تغْلبني بالكلام، ولكنك سَترَى غداً أنني سأغْلبك بالفعل لا بالقول.

المثنى : (غاضباً) ياعدوَّ الله، والله إن خرجْتَ لقتالنا مرة أخرَى فنَجوْتَ مني ، فلا كنتُ ابن حارثة !

المشهد الثالث

مقصورة في إيوان كسرى بالمدائن ، يتصل بها عن يمين المسرح مخدع بوران الملكة .

يرفع الستار فنرى رُسْتُمَ واقفاً لا يحول عينيه عن باب المخدع ، وهي في حالة وجد وهيام واضحين . ثم يفتح الباب فإذا الوصائف يسرن إلى الوراء وهن يفرشن على الأرض سجادة طويلة ، حتى تصل إلى الأريكة التي ستجلس عليها الملكة ، وإذا الملكة بوران تدخل في كمال زينتها ، والجواري من خلفها يحملن ذيل حلتها الطويل فتبدو كأنها الطاووس ، حتى تجلس على الأريكة .

رستم : (يتقدم نحوها ويركع) صُبِّحتِ بالخير

يا طلعةَ الشمس !

بوران : (تنظر إلى الوَصائف والجواري فينسحبْن، ويُسمع صوتُ تغْليق الأبواب من جهات مختلفة) صُبِّحتَ بالخير يا رُسْتمُ . ما جاء بك في الصباح الباكر ؟

رستم : جابان يا مولاتي أطْلقَ العربُ سراحَه، وعاد إلينا سالماً .

بوران : جابان قد عرفنا خبَرَه من مردانشاه، أفمن أجْل هذا تطْرقُ بابي من أول الصباح ؟

رستم : إنما هو عذر أتعلل به ، والحقيقةُ يا مولاتي أني اشتهيْت أن أكونَ اليوم أولَ من يراك .

بوران : ألا تقتصد يا رستم ؟ فالخيرُ في القصْد .

رستم : إنما يُقتصَد فيما يُخشى نفادُه، وليس كذلك حسنُك وليس كذلك حُبي . (يقترب منها

متوددآ) .

بوران : مكانَك يا رُسْتم لا تجعلْني أغضبُ منك .

رستم : واحَيْرتي .لسانُكِ ينْهاني وزينتُك تدْعوني.

بوران : أتريد مني ألا أتزيّن لئلا يُفتَن بي رستم؟

رستم : وهل في الإمكان يا مولاتي ألا يُفتن بك ؟ أنت فتنْتِه بالزينة وبغير الزينة . بل إنه لَيفتن بك أكثر حين يراكِ كما خلقكِ اللهُ .

بوران : (مُتغاضبة) رستم لا تنْسَ أنكَ بين يدَيْ بنت كسرى ؟

رستم : أنا لم أُرِدْ سُوءآ يا مولاتي . إنما قصدْتُ أنك حين تكونين على الطبيعة دونَ تطْريةٍ ولا تجْميل ، تكونين أجملَ وأفتنَ .

بوران : كذبْتَ .. بل قصدْت معنى آخر .

رستم : أي معنى يا بوران ؟

بوران : لا تتجاهَلْ يا رستم، أتظنني غَبيّة ؟

رستم : غبية ! أنت أذكى امرأةٍ رأيتُها في حياتي... وأجملُ امرأة وأشهى امرأة .

بوران : (متغاضبة) رُوَيدك يا رستم الزمْ حدك.

رستم : والله لا أدْري أين يبتدىء حـــدي معك يا بوران وأين ينتهي، أنتِ حيناً كرية كالربيع الذي ينثُر ألوانَ الزهر في الروح نثراً دون حِساب، وحيناً بخيلة كالشمس في أيام الشتاء المُجلَّلة بالسُّحب .

بوران : يُخيل إليّ يا رستم أنك نَسيت لمـــاذا جئتُ بك من خُراسان .

رستم : (مداعباً) لِنَصِل ما قطعتْه يـــدُ الأيام من غَرامِنا القديم .

بوران : هيهات .. ذاك عهد قد طوَيْناه فليس لنا أن ننشره .

رستم : وطفلنا فيروز أَنَسيتِه يا بوران ؟

بوران : (متجلّدة تحاول أن تكتم تأثرَها) رستم.. ألسْنا قد تعاهدْنا على اعتبارِه كأن لم يكن؟

رستم : ابنُك يا بوران.. والأم لا تَنسَى ابنَها أبداً.

بوران : ابنُ الخطيئة يا رستم، لو تسرّب خبرُه إلى الناس ليكونَنّ فيه سُقوطي وسقُوطك فلا نقومُ بعدها أبداً .

رستم : صدقْتِ يا مليكتي، فلْنُهِل على الماضي التراب، ولنستأنفْ عهْداً جديداً من الحب لا صِلةَ له بعهدنا القديم.

بوران : على أن نلزمَ القصد.

رستم : دُلّيني يا مولاتي كيف ألزمُ القصدَ .

بوران : يجبُ أن تتذكر دائمـــاً أنني دعوتُك من خُراسان لتنقُذَ البـــلادَ من هؤلاء الغُزاة، لا لتُسْمعني كلمات الغزَل .

رستم : أتحبين أن أريحَك من كلماتِ الغزل فـــلا

تسمعيها مني ؟

بوران : (في دلال) كيف ؟

رستم : تتزوجينني يا بوران .

بوران : (تضحك ضحكة رقيقة) هانتذا قد نهيتني عن الزواج وكرّهته إلي .

رستم : فِيمَ يا بوران ؟

بوران : كيف لا أكرهُه وهو يقْطع عني نَسيبَكَ وغزَلك ؟

رستم : الغزل زهْر الحب، ولن ينقطعَ إذا تزوجنا، بل يتحوّلُ إلى ثمر .

بوران : إني أفضّلُ الزهر على الثمر .. الزهر غذاءُ الروح لا تشْبع منه أبداً، والثمر غذاءُ البدن سَرعان ما تَضيقُ به حين تشبع منه .

رستم : غلبتني يا بُوران بحجّتك، ولكن الألسنةَ بدأتْ تَلُوكُ صلتَنا، ولا يقطع الألسنةَ غيرُ الزواج .

بوران : الزواج سيُؤكّد ما لَغَطت به الألسنة .

رستم : لكنه سيقْطعُها ويجعلها تبحثُ عن حديثٍ آخر تخوُض فيه .

بوران : لا تَتجاهَلْ يا رستم مـــا دون الزواجِ من عقبات .

رستم : الفرقُ بين مَقامي ومقامكِ ؟

بوران : هذه واحدة ..

رستم : إذَن فستظلين الدهرَ دون زواج إذ لم يَبْقَ من بيت كِسْرى أحدٌ من الرجال .

بوران : وأنا لا أُبالي .

رستم : أصْغِي إلي يا بوران . يُوجد نوعان من الحسب : حَسَبٌ يصْنعه الرجالُ ، وحسب يصنع الرجالَ ؛ فأيهما أفضلُ عندك ؟

بوران : (في دَلال كأنها تتحدّاه) الحسب الذي يصنع الرجالَ .

رستم : إذن فهرمزد الخامس أو كسرى الرابع أفضلُ عندك من مؤسس الأسرة الساسانية أزدَشير الأول ؟

بوران : (في شيء من الصَّرامة) أفانت يا رستمُ صانعُ حسبٍ ؟

رستم : أرجو ذلك يا بوران ، فإن تزوجتني جمعْنا الحسَبيْن ، وأطلعْنا من الحسبين نَجْماً جديداً لإيران ، وأسّسنا أسْرة جديدة .

بوران : كلا يا رُستم، ما لهذا جئتُ بك من خُراسان. جئت بك لِتُنقذَ أسرة سَاسان لا لِتهْدمَها وتبْني على أنقاضها أسرتَك .

رستم : يجب أن تُنْقذ فارس يا بوران بأيّ سبيل. تَزوّجيني ولْيَبق اسم الأسرة الساسانية كما هو .

بوران : كيف يا رُستم وأولادُك هم الذين سيحكمُون من بعدي ؟

رستم : إن لم تتزوجي فستنقرضُ أسرةُ ساسان.

بوران : يا رستم إني أحبّك وبودي لو أتزوجُك ، ولكن حسّادَك وحسادي لن يسكتوا لو تزوجتُك . أختي آزرميدخت التي سَمّلتُ عينيها لن تسكت ولن يسكتَ أنصارُها ، والفيرزان الذي يحسُدك وينافسُك لن يسكتَ ولن يسكت أنصارُه .

رستم : دَعِيهم لي فإني كَفِيل بهم جميعاً .

بوران : رستم لا تكن طِفْلاً، أتريدُ أن تُشْعِلَ فتنةً في البلاد تشغَلها عن مقاومة الغُزاة فتقع فريسة في أيديهم ؟

(تُسمَع ضجة من الخارج ، ثم تدخُل إحدى الوصائف) .

بوران : ما هذه الضجةُ يا مشكدانه ؟

مشكدانه : هذا الفيرزان يا مولاتي يُريد مقابلَتك ، فلما

قِيل له انتظرْ قليلاً هَـاجَ وزمْجر وهدّد وتوعّد .

بوران : قُولي للحاجب يأذن له بالدخول ، وافتحُوا الأبوابَ جميعاً .

(تخرج الوصيفة) ألم أُقلْ لـك يا رستم؟ إنه علم أنك عِندي من أول الصباح فغَار .

(يبتعد رستم عن بوران ويجلس على الأريكة المقابلة) .

(يدخل الفيرزان وهو عابسُ الوجْهِ) .

بوران : مرحباً بالفيرزان .

الفيرزان : (يركَعُ أمامهـا) عبدُك يا مولاتي يُحييكِ ويَفديكِ بحياته .

بوران : كنْتَ تَصيح وتُزمْجر في الفِنَاء ، فايّ شيء أغضبَك ؟

الفيرزان : قالوا لي انتظِر ، وعندي نبأٌ عظيم لا يحتمِل الانتظار .

بوران : فهلاّ بلغْته إلى الديوان؟

الفيرزان : ذهبت إلى الديوان فلم أجد رُسْتمَ هناك. إنه هنا عندكِ !

بوران : وما ذلك النبأُ العظيمُ يا فيرزان ؟

الفيرزان : بلغني أن جابان قَدِم المدينة اليوم .

بوران : (تُقَهقه ضاحكةً) أهذا هُو النبأ العظيم ؟

الفيرزان : (يعلُو صوتُـه غضباً) أَجلْ . إن رجوعَ هؤلاء القواد إلى المدائِن واحداً بعد واحد ، فارّين من وجْه العرب، قد ملأَ أهلَها ذُعْراً، وأفقدهم الثقة في جيش البلاد ، وهذه جريمة تُرتكب في حق الوطن .

رستم : (يَكظم غيظَه) صدقْتَ يا فيرزان ، ولذلك قرّرْتُ أن أحاكمَهُم جميعاً على فِرَارهم من وجه العرب : جابان ونرسي والجالينوس ومردانشاه .

قِيل له انتظرْ قليلاً هَـاجَ وزمْجر وهدّد وتوعّد .

بوران : قُولي للحاجب يأذن له بالدخول ، وافتحُوا الأبوابَ جميعاً .

(تخرج الوصيفة) ألم أقُلْ لـك يا رستم ؟ إنه علم أنك عِندي من أول الصباح فغَار .

(يبتعد رستم عن بوران ويجلس على الأريكة المقابلةِ) .

(يدخل الفيرزان وهو عابسُ الوجْهِ) .

بوران : مرحباً بالفيرزان .

الفيرزان : (يركَعُ أمامهـا) عبدُك يا مولاتي يُحييكِ ويَفديكِ بحياته .

بوران : كنْتَ تَصيح وتُزمْجر في الفِنَاء ، فايّ شيء أغضبَك ؟

الفيرزان : قالوا لي انتظِر ، وعندي نبأٌ عظيم لا يحْتمِل الانتظار .

بوران : فهلاّ بلغْته إلى الديوان؟

الفيرزان : ذهبت إلى الديوان فلم أجد رُسْتمَ هناك. إنه هنا عندكِ !

بوران : وما ذلك النبأُ العظيمُ يا فيرزان ؟

الفيرزان : بلغني أن جابان قَدِم المدينة اليوم .

بوران : (تُقَهقه ضاحكةً) أهذا هُو النبأ العظيم ؟

الفيرزان : (يعلُو صوتُـه غضباً) أَجلْ . إن رجوعَ هؤلاء القواد إلى المدائِن واحداً بعد واحد ، فارّين من وجْه العرب، قد ملأَ أهلَها ذُعْراً، وأفقدهم الثقة في جيش البلاد ، وهذه جريمة تُرتكب في حق الوطن .

رستم : (يَكظم غيظَه) صدقْتَ يا فيرزان ، ولذلك قرّرْتُ أن أحاكمَهُم جميعاً على فِرَارهم من وجه العرب : جابان ونرسي والجالينوس ومردانشاه .

الفيرزان : تُحاكمَهم ؟

رستم : نعم.. إن أحداً منهم لم يمُتْ في الميدان ، ولكنهم أماتُوا أُلوفاً من الجنود كانما مُهِمتهم أن يقبرُوا جنودهم هناك ويعودوا هم سالمين .

الفيرزان : كلا أنا لا أُوافق على محاكمتهم . إن الخطأ ليس خطأهم فإنما كانوا ينفّذون خطة مرسومة لهم . فالجالينوس مثلاً كان ينبغي أن يُرسَل قبل الوقت الذي أُرسِل فيه لِكَيْ يدرك نرسي في كَسكَر ، ولكنه لم يُرسَل إلا متأخراً ، فلم يكَدْ يصل إلى بارُسْما حتى كان العدوُّ قد نازلوا نرسي في السقاطية فمزقُوا جيشه ، ثم سارُوا إلى الجالينوس في بارُسْما فهزمُوه . وكذلك جابان تُرِك وحده يَلْقَى العدو في النارق ، ولو كان نرسي انضمّ إليه يومَئذٍ ولم يبْقَ في كسكر ، لربَّما استطاعوا أن يهزِموا العدو .

بوران : (تدرك أنه يُوجِّه التُّهمَة إلى رستم) إن شئتَ يا فيرزان جمعْنا لك جيشاً كبيراً فلَقِيتَ بهم العربَ ، وتكون التّبعةُ كلها عليك .

الفيرزان : ليس هذا يا مولاتي ما أُريد ، ولكن وَلِّيني القيادةَ العامة مكانَ رُستم ، وستَرَيْن ماذا أصنعُ ؟

بوران : يا فيرزان إن الناسَ سيفْقِدُون ثقتهم بنا إن وَلّيْنا كل يوم شخصاً جديداً للقيادة العامة ، ونحن اليوم في وقت ينبغي أن نُنكِر ذَواتِنا ولا نذكرَ إلا مصلحةَ الوطن . خذْ جيشاً كبيراً فقاتِلْ به العرب ، ولْتكُن التبعةُ كلها عليك .

الفيرزان : وهل يُوافِق رستم على ذلك ؟

رستم : (ليُنقِذ الفيرزان من الورْطة) إني أَرَى يا مولاتي أن نستَبْقي الفيرزان ليوم أكبرَ من

هذا وأشدَّ . (يُسَرَّى عن الفيرزان) .

بوران : فمن تختار ؟

رستم : لأختارَنّ رجلاً تعرفُه العربُ وتخشاه ..

بوران : من يكونُ ؟

رستم : مُري حاجِبَك يا مولاتي أن يأذنَ له ، فهو ينتظر أسفلَ .

بوران : أهو هُنا ؟

رستم : نعم قد أمرْتُه أن يحضُر في هذه الساعة .

(تشد بوران حبلَ الجرَس فيدخل الحاجب) .

بوران : من ينتظرُ بالباب ؟

الحاجب : القائد بهمن جاذَويه يا مولاتي .

بوران : (تنظر إلى رستم فيومِيءُ رستم أن نَعَم) ائْذَن له .

(يدخل رجل كبيرٌ ، ضخْم الجثة ، طويلٌ

عريض ، أشْمَط الشعر ، يتَهدّل حاجِباه على جفْنيه ، له أنفٌ كبيرٌ وعينان كأنهما نائِمتان وليْستا بنائمتين ، وفي وجْهه صَرامة وغلْظة كأنما قُدَّ وجهُه من جِلْد خَرْتيت ، ويركَعُ أمام الملكة) .

رستم : هذا يا مولاتي ذُو الحاجب بهمن جاذويه ، أشدُّ العجم على العرب .

المشهد الرابع

في المروحة حيث يعسكر المسلمون بالضفة الغربية من الفرات ، وتواجهها في الضفة الأخرى قرية قس الناطف حيث نزلت جموع الفرس .

رحبة بين خيام المسلمين . يرى سَلِيط ابن قيس والمثنى والمعنى وبشير بين الخصاصية واقفين يتحدثون في اهتمام .

سليط : (للمثنى) ماذا نصنعُ يا أبا حارثة في هذا الأمير الذي ركِبَ رأسه ، وأراد أن يُلْقي بالمسلمين إلى الهلَكَة ؟

المثنى : والله ما أدري ماذا أصنع .

سليط : ألا تحاولُ أن تنصحه مرة أخرى لعله يسمع

منك ، فأنت قاتِل هذه البلاد معرفةً ، وأنت الرائدُ والمشيرُ ؟

المثنى : قد كلمتُه غيْرَ مرة يا أبا قيس فأبى وأصرَّ على رأيه . ولكن كلمه أنت لعله يسْمع لرجلٍ من الأنصار ومن أهل بدْر .

سليط : يا أبا حارثة إنه لا يكرَهُ رأيَ أحدٍ كما يكره رأيي . لقد ظننتُ أنني كنتُ أطمع في إمارة هذا الجيش ، وإذ لم يولِّنيها عمر أغضبني ذلك فجعلت أثوِّبه في كل شيء .

بشير : إني لأحبّ هذا الرجل لقد كان يستشيرني ويحكّم رأيي ولا يقطع أمراً دوني حتى يوم السقاية حكّمني حتى رددته .

سليط : والله ما أدري ما أقول له بعد هذا ، كيف أخشونه وأنا أعرف من أين تؤكل الكتف ؟

المثنى : أنا أعلم ذلك ، ولكن الأحداث

الآخرون : دومة امرأته ؟

المثنى : نعم .. ظلّت تُعَيّره بأنه رجلٌ لا رأْيَ له ، حتى حَمِي أنفُه وركِبَه العنَادُ .

سليط : وكيف عرفْتَ ذلك يا مثنى ؟

المثنى : من سَلْمى بنت أبي خصفة .

سليط : قبّح اللهُ رجلاً تتسلّط عليه امرأة .

المثنى : بعضَ لَوْمِك يا أبا قيس . إنهـا مِحْنة كل امرىء يحب امرأَته ، إلا من عصم الله.

المعنى : فما بالنا يا أخي نحب نساءنا ولا ننقَادُ لهن ؟

المثنى : قد قلت : إلا من عصَمَ الله . ومـا يدريك يا معنى ماذا تفعلُ بنا نِساؤُنا !

سَليط : وما المَخْرجُ يا قوم ؟

المعنى : عندي أنا المخرج.

سليط : هاتِ يا معنى .

المعنى : (لسليط والمثنى) نشدْتُكما اللهَ يا سليط ويا مثنى ، هل تعلمان أن أميرَ المؤمنين قد أمرَ أبا عبيد بأن يَسْمع من أصحـابِ النبي ويُشْرِكهم في الأمر ؟

الإثنان : اللّهم نعم .

المعنى : وأنه نهاه عن التسرّع حتى يتبيّن ، فإن الحربَ لا يصلحها إلا الرجلُ المكيث ؟

الإثنان : اللهم نعم .

المعنى : فقد خالفَ أبو عبيد اليوم عن أمر أمير المؤمنين ، فلِمَ لا تعزله وتولّي مكانه غيرَه قبل أن يَرْمي بنا في الهلكة ؟

بشير : هذا والله الرأي .

المثنى : كلا يا قومُ ليس هـذا برأي . إن الذي ولاه أميرُ المؤمنين لا يعْزِله غير أمير المؤمنين .

المعنى : وإن خالفَ عن أمره ؟

المثنى : وإن خالف عن أمره ؛ إنّ علينا أن نَنْصحَه ما استطعنا ، والتّبِعةُ عليه .

بشير : ها هو ذا قد أقبلَ ، فدُعونا ننصحْه مجتمعين .

(يظهر أبو عبيد) .

أبو عبيد : أراكم نَجِيًّا ، فليتَ شِعري فيم تتناجَوْن ؟

المعنى : فيما يصلح المسلمين يا أبا عبيد ، وفي هذه المعركة التي نحن خائِضُوها مع هؤلاء الأعاجم ، فقد اجتمع رأينا على أن نَلزَم مكاننا ولا نعْبُرَ إليهم بل ندعهم يعبُرون إلينا .

بشير : أَجَلْ يا أبا عبيد . إن الأعاجِمَ قد حَفَلوا لنا واستقبلونا من الزُهاء والعُدة بما لم يَلْقَنا به أحد . وقد نزلْتَ بنا منزلاً لنا فيه مجالٌ وملجأ ، ومرْجع من فرَّة إلى كرّة .

أبو عبيد : أو قد هالَتْكم جموعُ الأعاجم ؟ أو قد هالكم أنهم أخرجوا راية كسرى التي يسمونها الدّرْفش كاويان ؟ أو قد هالَكم أن قائدهم هو بهمن جاذويه الذي يزعمون أنه أشدُّ العجم على العرب ؟ إذن والله ليكوننّ أجرأ عليكم إذا عبَروا إليكم النهر ؟

سليط : يا أبا عبيد إنك لتعلم ما هال أحداً منا جموعهُم ولا رايتهُم ولا قائدهم ، ولكننا لا نقاتل رياءً ولا سمعةً ؛ بل لتكون كلمة الله هي العليا ، وقد أشرْنا عليك بالرأي .

أبو عبيد : عجباً لك ، إن أميرَ المؤمنين ظنَّ بك التسَرّع فإذا أنت أمْكَثُ من المكيث !

سليط : بل أنت والله عجباً لك ، إن أميرَ المؤمنين ظن بك الأناةَ والتبصّر ، فإذا أنت أرْعَن أهْوَج . اتق الله في المسلمين ولا تُلْقِ بهم إلى الهلكة .

أبو عبيد : ما كنتُ أعلم يا ابن قيس أنك جبان .

سليط : أنا والله أجرأ منك نفساً ، ولكني لا أعاند ولا أتحدّى رأيَ ذَوي الرأي .

أبو عبيد : (للمثنى) يا أبا حارثة ، أأنتَ أوعَزْت إلى هؤلاء بما قالوا ؟

المثنى : مَعاذ الله أيها الأميرُ ليس ذلك من خُلُقي ، وقد صارحتُك برأيي من قبل وأنا على رأيي. لا تقطعْ هذه اللُّجةَ فتجعل نفسك ومن معك غرَضاً لأهل فارس .

أبو عبيد : المثنى مثنى بني شَيْبان ينْهاني عن العبور إلى العدو ؟!

سليط : لأنه أعْرَف منك بالحرب ، وأعرف منك بالأرض ، وأعرف منك بالعدوّ ، وأحسنُ منك نيةً وأكرم منك طَويّة . وهل نُصِرنا فيما سبق من المعارك إلا برأي المثنى وشجاعةِ المثنى ؟

المثنى : رُوَيْدك يا ابن قيس ، نَشَدْتُك اللهَ إلا ما

خَلَّيتَ بيني وبين أميرِنا أبي عبيد . أيها الأمير إني سائِلُك فأجبْني . ماذا حَمَلَنا على عبور النهر من قبل حتى نزلْنا هذا المنزِل ؟

أبو عبيد : أنتم أشرْتم عليَّ بذلك وزعمْتُم أنه أحصنُ .

المثنى : فكيف نتركُه اليوم ونعُود إلى حيث كُنا من الشطّ الآخر ، وقد احتَلّته جموعُ الأعاجم ؟

أبو عبيد : لِنُريهم أننا لا نَهابُ جموعهم ، وأنهم ليسوا بأجْرأ على الموت منا .

المثنى : اننا قد أرْيْناهم ذلك غيرَ مرّة من قبل ، وسنُريهم ذلك غير مرة من بَعْد ، دون أن نعْبُر إليهم اليوم .

أبو عبيد : يا أخا بكر ، إن بهمن جاذويه قد قطع الفراسِخَ حتى وصَلَ إلى هذا المكان ، أفلا نَخْطُوا نحن إليهم هذه الخُطَيْفة ؟ لقد

جَبُنّا واللهِ إذَن .

المثنى : هذا مـا قاله لك مردانشاه الخصيّ إذ بعثه جاذويه رسولاً إليك .

أبو عبيد : نعم ، ولقد صَدَق العلْجُ وما قال غيرَ الحق.

سليط : لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله . تُصَدِّق العلْج وتُكَذِّبُنا ؟

أبو عبيد : (يُعرِض عنه ويَمْضي) إني ماضٍ لأحرّض الناس ، فاستعدوا وأعدّوا (يخرج) .

سليط : فصبرٌ جميل ، والله المستعانُ على ما تصفون.

المثنى : يا قومُ إن ذا الحاجب قد غلَبَنا في المكيدة والرأي ، فلا يغْلبنّنا في القِراع والمصاع .

المعنى : والله يا مثنى لكأنى بالكارثة تَحُلّ بالمسلمين .

المثنى : صهْ لا تقُلْ ذلك ، واياك ثم إياك أن تقول ذلك لأحد من الجيش .

بشير : الحق يا مثنى أن هذه أولُ مرة أقاتِلُ فيها وكأني معْصُوب العينين .

سليط : قد قُضِي الأمرُ ، فعلينا الاجتهاد والصبرُ .

المثنى : صدقْتَ يا أبا قيس. انْسَوْا أبا عبيد إلى حين، واذكروا ربكم وانصروه ينصرْكم فهو خير الناصرين .

المشهد الخامس

الحجرة الأمامية من بيت عمر بن الخطاب.
عمر وعنده جماعة من أهـــل الشورى ،
وعبد الله بن زيد .

ابن عوف : ويْحَكَ يا عبدَ الله بن زيد ، هلا اختصَرْت في وصف النَّكْبة فقد روَّعْتَ الناس ؟

عبد الله : أمرني أمـــير المؤمنين أن أحكي المعركة كما وقعتْ ففعلتُ .

عمر : أجلْ يا ابن عوف ، ينبغي أن يعْرفَ المسلمون كلَّ شيء وألا يجْزعُوا من حادث وإن جَلَّ. وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ

قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمـــةٌ وأولئك هم المهتدون .

الزبير : إنا لله وإنا إليه راجعون . أربعةُ آلاف من المسلمين تهافَتُوا في الفُرات !

عمر : بل أربعةُ آلاف من المسلمين رُزِقوا الشهادةَ يا زبير .

الزبير : كلا يا أمير المؤمنين ، لقد فرّوا من وجه العدو فتهافَتُوا في النهر .

عمر : صه يا ابنَ العوام لا تقُلْ ما ليس لك به علم .

الزبير : سمعْتُ وصفَ المعركة من عبد الله بن زيد فكأنني شهدْتُها .

عمر : كلا إنهم ما فَرّوا ، ولكنهم انحازُوا .

الزبير : انحازُوا إلى مَنْ يا أمير المؤمنين؟

عمر : انحازوا إليَّ : أنا فِئَةُ كل مسلم .

طلحة : يا أمير المؤمنين إن سار قولك هذا في الناس، فليتخيفنّ بالفرار يوم الزحف.

عمر : كلا : يا أبا محمد، ما هذا بالفرار وإنما هو التحيّز إلى فئة. إنهم قومٌ خرجوا احتساباً لله، فلا يفرّون إلا إذا اضطُروا ليكرّوا بعد ذلك. رحمَ الله أبا عبيد، لو كان عَبَر فاعتصَم بالخيفِ ولم يستقتِل، لكنا له فئة.

طلحة : بل قاتَلَ الله أبا عبيد ولا رحِمَه!

عمر : مَهْلاً يا طلحة، لا تَسُبَّنَّ امرءاً باعَ نفسه لله فأكرمَه الله بالشهادة.

طلحة : يا أمير المؤمنين إنّه هُو الذي جَلَب عليهم الكارثة بِخَرْقه وسُوء رأيه، ولو كان عليهم سَليط بن قيس أو المثنّى بن حارثة ما وقَعَ الذي وقَع.

عمر : أتِنك لتحمِّلُني تبعةَ ذلك يا طلحة؟

طلحة : نعم يا أمير المؤمنين، فقد أشرْنا عليك أن تُؤَمّر عليهم أحد السابقين من المهاجرين والأنصار، فأبيْت إلا أبا عبيد.

عمر : (مُحتدّاً) أين كان السابقون من المهاجرين والأنصار، إذْ ظَلَلْت ثلاثة أيام أندُب الناس للمسير مع المثنى فلا ينْتَدِب أحد؟ فكيف لا أُؤَمّر أبا عبيد وكان هو أولَ من انتَدَب؟ ولقد عرفْتُه مكيثاً ذا أناة وحِلْم وثبات وشجاعة، وأمَرْتُه على ذلك أن يستشير أصحاب رسول الله ويُشْركهم في الأمر.

طلحة : فقد تهوّر وركِبَ رأسه ولم يقبل رأيَ أحد.

عمر : سبحانَ الله، وهل كنْتُ أعلمُ الغيبَ يا طلحة؟ لقد هَمَمْتُ أن أولّي سليط بن قيس، فما منَعني من ذلك إلا أنه رجلٌ عَجِلٌ إلى الحرب، فإذا الآية تنقلِب.

اللهم إنك ولي التدبير، بيدك الأمر كله والتدبير كله.

الزبير : لو كنتَ أبقيتَ المثنى يا أمير المؤمنين ولم تعزله...

عمر : والله يا قوم إني قد اجتهدت وتوخيت ما فيه صلاح المسلمين. والله ما عزلت المثنى مثنى بني شيبان إلا أن الناسَ فُتِنوا به كما فُتنوا بخالد، فخشيت أن يُوكلوا إليه أو أن يُفتَن بهم وهو في تلك الناحيةِ من ديار قومه من بني بكر بن وائل، وكان بين قومه وبين الأعاجم في الجاهليةِ ما تعرفون، فأشفقت واللهِ أن يُعيدَها جاهلية!

عبد الله : والله يا أمير المؤمنين ما رأيتُ مثلَ المثنى إخلاصاً لله، ولا حدَباً على المسلمين، ولا صدقاً في لقاء العدو، ولا ثباتاً حين تتزلزل الأقدام. لقد ظل يُقاتل من وراء الناس ويحميهم، ويحُول بين العجم وبين الجسْر وينادي: أيها الناسُ أنا دونكم فاعبروا على هَيئتكم ولا تعْجَلوا ولا تدهَشُوا فإني ومن معي لن نُزايل حتى تعبروا جميعاً ونراكم من ذلك الجانب. والله يا أمير المؤمنين لولا المثنى لما بَقِي منا مخْبر..

عمر : جزى الله المثنى عن المسلمين خيراً. لئن أكذب اللهُ ظني فيه بما أبْلى وأبْدى من الخير والنصح لجماعة المسلمين، إني بذلك لأسعدُ.

الزبير : ليتَ شِعري ماذا فعل المسلمون في تلك التي سارُوا لها من دمشق؟

الجميع : (بصوت واحد) فِحْل.

الزبير : أجَلْ فِحْل.

عمر : أرجو أن يأتينا نبأُ عنها اليوم أو غداً.

طلحة : اللهم لا تجمع علينا مُصابَيْن في يوم واحد.

علي : هلا قلْتَ يا أبا محمد: اللهم أسمعْنا عنها خيراً؟

طلحة : هذه يا أبا الحسن أولُ وقْعة يشهدُونها بعد عزل خالد .

عمر : (محتداً) لم لا تصرّح بما في نفسك ؟ إنك تخْشى أن يُهزَم المسلمون في فِحْل إذ ليس عليهم خالدُ بن الوليد ، كما هُزم إخوانُهم في الجسر إذ ليس عليهم المثنى بن حارثة . أليْس هذا ما في نفسك يا طلحة ؟

طلحة : بلى يا أمير المؤمنين ، وفي نفُوس كثير من المسلمين غيري .

عمر : غفرَ اللهُ لك ولهم. هَبُوا خالداً لم تلدْه أمُّه، وهبُوا المثنى لم تلدْه أمه ، أفلا ينصر الله دينَه والذين آمنوا به؟

(يدخل أسْلَم) .

أسلم : يا أمير المؤمنين هذا مُعاذُ القاري قد أحضرْتُه لك .

(يدخل مُعاذ القاري مُنكّساً رأسَه خجلان) .

معاذ : (بصوت يخالِطُه البكاء) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا أخا الأنصار ورحمة الله .
(يقوم فيأخذ بيده ويجلسُه إلى جانبه)
ويْحَك يا معاذ ، هلاّ جئتني فسلّمت عليّ يوم قدِمْتَ المدينةَ ؟

معاذ : يا أميرَ المؤمنين، ما كنْت أحسبك تُطيق أن ترى وجْهي ، ولا كنتُ أحسبُني أستطيع أن أرَى وجهك بعد الذي كان .

عمر : ما كان إلا الخير يا معاذ ، فهوّن عليك .

معاذ : من مُجيري يا أمير المؤمنين من قوله تعالى: ومن يُولّهم يومئذٍ دُبُرَه إلا مُتحرّفاً لِقتال أو مُتحيّزاً إلى فئة ، فقد باءَ بغضَب من الله ،

علي : هلا قلْتَ يا أبا محمد: اللهم أسمعْنا عنها خيراً؟

طلحة : هذه يا أبا الحسن أولُ وقْعة يشهدُونها بعد عزل خالد .

عمر : (محتداً) لم لا تصرّح بما في نفسك ؟ إنك تخْشى أن يُهزَم المسلمون في فِحْل إذ ليس عليهم خالدُ بن الوليد ، كما هُزم إخوانُهم في الجسر إذ ليس عليهم المثنى بن حارثة . أليْس هذا ما في نفسك يا طلحة ؟

طلحة : بلى يا أمير المؤمنين ، وفي نفُوس كثير من المسلمين غيري .

عمر : غفرَ اللهُ لك ولهم. هَبُوا خالداً لم تلدْه أمُّه، وهبُوا المثنى لم تلدْه أمه ؛ أفلا ينصر الله دينَه والذين آمنوا به؟

(يدخل أسْلَم) .

أسلم : يا أمير المؤمنين هذا مُعاذُ القاري قد أحضرْتُه لك .

(يدخل مُعاذ القاري مُنكِّساً رأسَه خجلان) .

معاذ : (بصوت يخالِطُه البكاء) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا أخا الأنصار ورحمة الله .
(يقوم فيأخذ بيده ويجلسُه إلى جانبه)
ويْحَك يا معاذ ، هلاّ جئتني فسلّمت عليَّ يوم قدِمْتَ المدينةَ ؟

معاذ : يا أميرَ المؤمنين، ما كنْت أحسبك تُطِيق أن ترى وجْهي ، ولا كنتُ أحسبُني أستطيع أن أرَى وجهك بعد الذي كان .

عمر : ما كان إلا الخير يا معاذ ، فهوّن عليك .

معاذ : من مُجيري يا أمير المؤمنين من قوله تعالى: ومن يُولّهم يومئذٍ دُبُرَه إلا مُتحرِّفاً لِقتال أو متحيِّزاً إلى فئة ، فقد باءَ بغضَب من الله ، ومأواهُ جهنم وبئْس المصير ؟

عمر : أنا مُجيرك يا معاذ.. أنا فِئتك ، وإليّ انحزتَ.

معاذ : وأين كنت مني يومئذ يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أنا معكم في كل حين يا مُعاذ وفي كل مكان. اللهم كلُّ مُسْلم في حِلّ مِني.. أنا فِئة كل مسلم .. من لَقِي العدو ففَظِعَ بشيء من أمره فأنا له فِئة .

معاذ : ليت أصحابي الذين كانوا معي سمعوا هذا منك يا أمير المؤمنين ، فإنهم لم يرْقأْ لهم دمعٌ منذ يوم الجسر .

عمر : وأين نَزلُوا من دونك ؟

معاذ : نزلوا البوَادِي يا أمير المؤمنين حياءً أن يَلْقَوا الناسَ فيعيّرُوهم .

عمر : والله لا يعيّرهم أحدٌ إلا أدّبتُه وأوجعتُه . اذهب إليهم يا معاذ فقل لهم : إن أميرَ

المؤمنين يقْرأ عليكم السلام ، ويقول لكم لا بأسَ أن يُهْزَم المسلمون مرة أو مرتين ، فتلك سُنّة الله نَغْلِب ونُغْلَب، ولكن الغَلَبة في آخر الأمر للحقّ . وكنا في عهد رسول الله ﷺ لا نُنكِر من أمرنا شيئاً إذا غُلِبنا، فقد وقع ذلك في أُحد ، ثم وقع أعظَم منه في حُنَين . ويحكم ألا تذكرون موقفَ رسول الله ﷺ من جند مُؤْتَة الذين أُحِيط بهم وقُتِلَ أمراؤهم الثلاثة ، فدَاوَرَ بهم خالد حتى نجا بهم ، وكيف جعل أهلُ المدينة يَحْثُون التراب في وجوههم ويقولون : يا فُرّار فررتم في سبيل الله ، فيقول رسولُ الله ﷺ : ليسُوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله .

معاذ : (يتهلّل وجْهُه) والله يا أمير المؤمنين لأنطلِقَنّ إليهم الساعة ، فلأُبشّرنّهم بما قلْتَ .

عمر : انطلق إليهم وقل لهم يَرجعوا إلى المثنى لِيجاهِدوا معه ، وأرجو أن يجعلكم غداً أشد المسلمين على المشركين . (يخرج معاذ القاري) .

أسلمُ : (يدخل) يا أميرَ المؤمنين ، هذا جريرُ بن عبدالله البَجَلِيّ قد حضر .

عمر : دعه يدخل .

(يدخل جرير بن عبدالله البجَلِيّ) .

جرير : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . مرحباً بيوسُف هذه الأمة . اجلس .

جرير : استدْعَيْتني يا أمير المؤمنين ؟ (يجلس) .

عمر : انظروا ما أجملَ هذا الرجل ، وأجدرَه أن يكون رئيسَ قومه .

جرير : قد صرتُ رئيسَ قومي بفضلِكَ يا أمير

المؤمنين ، إذ جمعْتَ لي بَجيلة في صَعيد واحد بعد أن كانت مُشتّتة في القبائل ، فأنجزْتَ بذلك العِدةَ التي وعدتنيها رسول الله ﷺ .

عمر : أفلا تشكرون اللهَ على ذلك ؟

جرير : نشكره يا أمير المؤمنين ونحمده .

عمر : فاخرُج بهم يا جرير حتى تلحقَ بالمثنى .

جرير : بل الشام يا أمير المؤمنين ، فإن أسلافَنا بها .

عمر : بل العراق ، فإن الشامَ في كِفاية .

جرير : إنهم لا يُريدون غيرَ الشام .

عمر : أولَسْتَ رئيسهم ؟

جرير : تَقاسَموا ليعودُنَّ كما كانوا مُتفرقين في القبائل ، إذا أبَيْت عليهم إلاّ العراق . يا أمير المؤمنين إنهم سمعوا أخبارَ الجِسْر فرَعبْتهم ، وقد رأوا الناسَ يكرهون هذا الوجهَ فكرهوه حتى قالوا لي : ويلك أجمَعْتنا في صعيد واحد لتقبُرَنا في العراق ؟

عمر : فقال لعلي ما جرير ؟

جرير : إنهم أمير المؤمنين حشروا عبد اللجم ، والرأي أن ترضيهم بشيء من المال .

عمر : من أين أعطيهم ؟ ما عندي مال .

علي : يا أمير المؤمنين كُفيتَ . اجعلْ لهم شيئاً من خُمس ما يُفيء الله على المسلمين ، يضافُ إلى نصيبهم في الفَيْء .

عمر : وهل يَحِل لي ذلك يا أبا الحسن ؟

علي : نعم يا أمير المؤمنين ، إن رأيت أن تجعله فيمن سمى الله جعلْته ، وإن رأيتَ أفضلَ للمسلمين وأردَّ عليهم أن تصْرفَه إلى غيرهم صرفْته .

عمر : فقلْ لهم يا جريرُ إني قد جعلت لهم الرُبع من خُمْس ما يُفيء الله على المسلمين ، فوق نصيبهم من الفيء .

جرير : جُزيتَ خيراً يا أمير المؤمنين . الآن يرضَوْن

إن شاء الله .

عمر : بل اشكر أبا الحسن ، فهو الذي أرشدَنا إلى ذلك .

جرير : جُزيت خيراً يا أبا الحسن .

(يخرج).

عمر : يا عبدَ الله بن زيد .

عبدالله : نعم يا أمير المؤمنين .

علي : ارجعْ عَوْدك على بدئك فبَشِّر المثنى بأني ممدُّه بالرجال تِلْوَ الرجال .. بجموع من بجيلة والأزْد وكِنانة وخَثْعم وبني ضَبّة وعبد القيس .

أسلم : (يدخل فرحاً) يا أمير المؤمنين هذا رسولُ أبي عبيدة من الشام !

عمر : اللهم خيْراً . (يدخل سعيد بن عامر بن حِذْيم الجُمحي) سعيد بن عامر ، ماذا وراءك ؟

سعيد : أبشرْ يا أمير المؤمنين، قد نصَر اللهُ المسلمين في قِحْل.

عمر : اللهُ أكبر ! اللهُ أكبر ! اللهُ أكبر ! ربٌّ قاتل لو كان خالد ! حمداً لك اللهم، رزقتنا النصر، وشرحت منا الصدر، بيدك الأمرُ ولا حول ولا قوةَ إلا بك يا رب العالمين.

المشهد السادس

بالشويب حيث نزل المثنى بجيشه على الضفة الغربية من نهر الفرات، وبواجهم جيش الفرس في الضفة الأخرى بقودهم مهران الهمذاني.

في خيمة المثنى بن حارثة.

((ترى شيرين وحدها تصلي في خشوع، ثم تسلّم من صلاتها)).

شيرين : (تتلفّت حولها كأنها تخشى أن يسمعها أحد، ثم تقول رافعةً يديها إلى السماء مبتهلة) اللهم تُبْ عليّ ! اللهم اغفر لي ما جَنَيْتُ ! اللهم اشرحْ صدري لدينك الحـــق وأذهب عني

وساوسَ الشيطان! بسم الله الرحمن الرحيم.
قل أعُوذ برَبِّ الناس . مَلكِ الناس . إلٰه
الناس . من شرِّ الوَسْوَاس الخنَّاس . الذي
يُوَسوس في صدور الناس. من الجِنَّة والناس.
(يظهر رجلٌ أمامها بغتةً كأنه انْسَلّ إلى
الخيمة في غَفْلة من الناس) .

شيرين : ويْلك مَنْ تكونُ ؟ وماذا تُريد ؟

الرجل : (يركع أمامها) شيرين أيتُها الأميرة بنتُ الأمير
باذان . أنا عبدُك وخادمُك . أرسلَني القائد
مهران بن مهرويه الهمذاني إليك .

شيرين : (تَحَارُ قليلاً ثم تستَجْمِعُ شجاعتها) اخرج
قبل أن أَصيحَ بهم فيقتلوك .

الرجل : لو كنتُ أخافُ الموتَ ما بعثني مهران .
كيف أخرجُ يا مولاتي الأميرة قبل أن
أؤديَ رسالتي إليك ؟

شيرين : ماذا عندك ؟ أسرع !

الرجل : لا تخافي يا مولاتي . إنهم الساعة مشغُولون
جميعاً عنا بعرض الخَيْل .

شيرين : هاتِ ما عندك .

الرجل : القائد مهران يهديك التحيةَ والتبجيلَ .

شيرين : أنا لا أعرفُ مهران .

الرجل : لكنه هو يعرفك، ويعرف ما قدّمتِ لفارسَ
من خدمات .

شيرين : كلا أنا ما قدمت لفارسَ أيَّة خدمة ! أنا مُسلمة .

الرجل : مـا خَطْبُكِ يا أميرتي ؟ لعلك لا تَثقين
بعبدِك . فهاكِ هذا كتابٌ لك من ملكتنا
بُوران بنت كسرى .

شيرين : بوران بنت كسرى ؟

الرجل : نعم .. بعثَتْ بـه مع القائد مهران فكلّفني

القائد مهران بتسْليمه إليك، خُذِيه يا مولاتي الأميرة .

شيرين : كلا لا آخُذُه .. لا أعرف بوران ولا تعرفني .

الرجل : بهمن جاذويه قصَّ على الملكة كل شيء عنك .

شيرين : ولا أعرف بهمن جاذويه ولا صِلَة لي به .

الرجل : بهمن جاذوية كان صديقَ أبيك الحميم .

شيرين : ربما كان صديقَ والدي ، ولكني لا صلة لي به ولا أعرفه .

الرجل : إنه نوّه للملكة بفضلك الكبير عليه في معركة الجِسْر .

شيرين : كلا كلا ..

الرجل : أنت التي دفعْت أميرَ العرب إلى عُبُور النهر .

شيرين : اسكتْ .. اخرج من عندي قبل أن يجدُوك فيقتلوك .

الرجل : قلتُ لكِ يا أميرتي إني لا أخاف القتلَ .

شيرين : (تنظر إليه مَلِياً ثم تقول) هاتِ كتابَ الملكة .

الرجل : (فرحاً) هاكِ اقرأيه ثم رُدّيه إليّ .

شيرين : (تأخذ الكتاب) لماذا أردّه إليك ؟

الرجل : تمْزيقُه لا يصح ، وبقاؤُه عندك خطَرٌ عليك .

شيرين : اطمَئِن ، فسأصونُه عندي في حِرْز حَرِيز . (تخفيه بين ثيابها) ، اخرج الآن .

الرجل : ورسالة شفوية من القائد مهران .

شيرين : قلْها وأسرعْ .

الرجل : يرجو منـــك بحق فارس أن تكْفِيه المثنى ابن حارثة .

شيرين : المثنى بن حارثة ؟

الرجل : نعم . ولا يريد منكِ بعدها شيئاً .

شيرين : قل له إني سأفْعل ..

الرجل : شكراً يا مولاتي الأميرة .. شكراً . (يركع لها محيياً) .

شيرين : اخرج . أسرع .

(يخرج الرجل ، وتتناول شيرين قوساً لها فترميه بسهم) .

الرجل : (يصرخ من الخارج) آه .

شيرين : (ترميه بسهم ثان وهي تتمتم) يجب أن تموت .

(تصيح بأعلى صوتها) يا معشر المسلمين ! يا معشر المسلمين ! (تفتح باب خبائها) النجْدةَ ! النجْدةَ !

(تدخل جهدمة ثم سلمى) .

جهدمة : ما خطبك يا شيرين ؟ ماذا دَهاك ؟

شيرين : (ترْتَمي عليها باكيةً دون أن تُجيب) ... ؟

(يدخل المعنى والمثنى وبشير بن الخصاصية فزعين مدهوشين) .

المعنى : (يحْتضن شيرين مُواسِياً) ماذا دَهاك يا شيرين ؟

صوت : (من الخارج) انظروا يا قوم . هذا رجلٌ قتيل .

شيرين : (ماضية في بكائها) أنا التي قتلته .

الصوت : أصابَهُ سهمان في ظهره .

شيرين : أنا التي رَميْته . إنه جاسُوس للعدو .

الجماعة : جاسوس ؟

شيرين : جاسوس بعثه مهران إليّ .

المعنى : إليكِ أنت ؟

شيرين : (باكية) نعم . أتدرُون ماذا طلب مني ؟

الجماعة : ماذا طلب منك ؟

شيرين : (في بكائها) أن أغْتَالَ له أخي وسيدي المثنى ابن حارثة .

بشير : قاتَلَهم الله .

المثنى : علام تبكين يا شيرين ؟ هذه آيةٌ على أن مهرانهم هذا يخافُ مني .

سلمى : وقد أمكنكِ اللهُ من الجاسوسِ فقتلتِه ، فاحمدِي اللهَ .

المثنى : وغداً إن شاء الله أقتلُ الذي أرسله .

شيرين : (باكيةً) يا ليْتَني ما كنت فارسِيّة ، إذن لاطْمأنَّ قلبي .

بشير : كلا لا تقُولي ذلك يا شيرين . إن الإسلام لا يُميّز بين فارسي وعربي .

شيرين : لكنّي سأظل الدهْرَ مُرْتاباً في دينِها متّهمة .

جهدمة : مَعاذ الله أن يرتابَ في دينك أحد ، أو يتّهمك أحد . إنك والله لمؤمنةٌ صالحة .

سلمى : أنت خيرٌ مني يا شيرين . لقد حَفِظْتِ عن جهدمة ما عندها من القرآن ، وأنا لم أحْفَظ عنها شيئاً .

المعنى : وخير مني أنا أيضاً .

المثنى : ومني أنا كذلك والله . لقد شغلني الجهادُ عن القرآن .

شيرين : جُزيتم خيراً . أنا لا أعنِيكم أنتم ، وإنما أعني هؤلاء الفُرس ، فهم يَعْرفونني لمكانِ أبي ، فما بَرِحوا يطمعون في خِيانتي للمسلمين حتى اليوم . هذا ما يحزّ في نفسي .

المثنى : دعِيهم في غَيّهم يعْمهون ، ولا تُبالي بهم .

المعنى : إذا رضِيتْ عني كرامُ عشيرتي
فلا زال غَضباناً عليّ لِئامُها

(في تدليل) بحياتي عليك ابتسمي يا حلوة!

شيرين : (تَبْتَسم) اسمي شيرين !

المعنى : معناه حلوة !

شيرين : آه منك يا مُسْتَهام !

(يضحك الجميع) .

المثنى : (لزوجته) أتأذَنين لي يا سلْمى فأسرّج الشُّمُوس؟

سلمى : خارج أنت الساعة للقتال ؟

المثنى : إن الفُرس قد آذَنونا بأنهم سيعبُرون إلينا ، فأريد أن أرقُبَ أصحابي .

سلمى : لا والله لا يُسَرِّجها غيري ، ولا يخرجها من مَربطها غيري . هَلُمي معي يا شيرين لتساعديني في إسْراج أكرم فرَس لأكرم فارس !

شيرين : (تَنْهَض) حباً يا سَلمى وكرامة .

(تخرجان) .

المشهد السابع

بالبويب . في الخلاء الواقع أمام الخيام .

في جانب من الخلاء يرى هلال بن علفة وقرط بن جمّاح وعروة بن زيد الخيل واقفين أمام صفوف رجالهم يتحادثون .

هلال : انظروا .. انظُروا إلى تلك الفرسِ ما أكرمَ وما أجملَ ! إنها لَتسير كأنها ترقُصُ !

قرط : أجل ، ما رأيت في حياتي كاليوم فرساً .

عروة : تلك الشَّمُوسُ فرسُ المثنى بن حارثة .

قرط : أهوَ المثنى ذاك الذي عليها ؟

عروة : ومَنْ سواه؟

هلال : ما أجملَه فوقَها وما أجملَها تحتَه !

عروة : هذه الشّموس لا يركبها المثنى إلا لِقِتَال.

قرط : لا يركَبها إلا لقتال ؟

عروة : نعم .

هلال : لذلك تَرَاها كأنها تريد أن تطِيرَ . (يُسْمع صهيلُ الفرس من بعيد) .

انظروا .. انظروا كيف شَبَّتْ على قائمَتَيْها كأنها تريد أن تَنقلِب على ظهرها .

عروة : إنما فعلت ذلك حين شدّ عِنانَها لِتقفَ .

قرط : إنه يُريد أن يقولَ شيئاً .

عروة : يريد أن يُرتّبنا فاستمعوا إليه .

المثنى : (يسمع صوته) يا معاشرَ المسلمين ويا سادةَ العرب . إني مُنَادٍ بأسمائكم فلَبُّوني . يا جرير

ابن عبد الله البجلي !

صوت : لبيك !

المثنى : (صوته) يا حسانُ بن المنذر الضبّي !

صوت : لبيك !

المثنى : (صوته) يا عَرْفَجةُ بن هرثمة البارقي !

صوت : لبيك !

المثنى : (صوته) يا غالبُ بن عبد الله الكِنَاني !

صوت : لبيك !

المثنى : (صوته) يا هلالُ بن علّفة التيمي !

هلال : لبيك وسعديك !

المثنى : (صوته) يا عديُّ بن حاتم الطائي !

صوت : لبيك وسعديك !

المثنى : يا حُصَيْن بن مَعْبَد بن زُرَارَة !

صوت : لبيك !

المثنى : يا قُرْطُ بن جماح العَبْدِي !

قرط : لبيك وسعديك !

المثنى : يا عبدَ الله بن ذي السهين الخَثْعَمي !

صوت : لبيك !

المثنى : إنكم يا قومُ ساداتُ العرب، كل واحد منكم سيِّدُ قومِـــه ، فلا نُكْرَان لفضلكم ولا لشجاعتكم ، ولوَدِدْت لو جعلتُكم على مراكِز القيادة في هذه الحرب ، ولكن قتلَ أرضاً عالِمُها ، وقتلتْ أرضٌ جاهلَهـــا . وهؤلاء الذين أنا مُقدِّمهم عليكم ليسُوا خيْراً منكم ، ولا أنا والله ما أنا بخير منكم إلا في معرِفَة العدو الذي نحارُبه اليوم، والأرضِ التي نُحارب عليها . فلا أسمعنّكم تقولون : إن المثنى قَلّد أخوَيْـــه مسعوداً والمعنّى وتركنا . فوالله لو لم يكونا أخَوَيَّ لقلدْتهُما كذلك . أو تقولون: إن المثنى قَلّد أصحابَه

القُدَامَى وتركَنا . فواللهِ ما لِيَ بينهم اليوم من صاحب فكلُّكم لي صـــاحب . ووالله ما يسُرّني اليوم شيءٌ إلا وهو يسُرني لكم عامَّةً . ولكن هؤلاءِ قد عَرَكُوا الفرسَ منذ أيام خالد بن الوليـد ، بل قبل ذلك . وغداً إن عِشْنا وعشتم لتكونُنَّ أنتم القادةَ إن شاء الله ، ونحن لكم تَبَع .

قرط : يا مثنى بن حارثة، إنك والله لتنزِلُنا منازِلنا دون حَيْف ، وإنا لنلْقَى جميعاً من بِرّك وعطفكَ ما جعلنا نحبكَ وبأرواحنا نفديك، فافعلْ ما تشاء وَولِّ مَنْ تشاء، أرْشَدك اللهُ، فما أنت بمظنون ولا مُتّهم .

أصوات : صدق قُرط بن جمـــاح ، صدق أخو عبد القيس !

المثنى : جُزيتم خيراً . إني منادٍ الآن ، فمن نُودي باسمه فلْيتقدم نحْوي حتى يراه النـــاسُ

ويعرفُوه . يا بشير بن الخصاصية !

بشير : (صوته) لبيك !

المثنى : يا أخا سَدُوس ويا صاحب رسول الله ، أنت على الميمنة . يا بُسرُ بن أبي رُهْم !

صوت : لبيك .

المثنى : أنت على الميسرة . يا مُعَنَّى بن حارثة !

المعنى : (صوته) لبيك !

المثنى : أنت من المجرّدة . يا مسعود بن حارثة !

مسعود : (صوته) لبيك !

المثنى : أنت على الرَّجل . يا نسير بن ثَوْر العَجْلي !

صوت : لبيك !

المثنى : أنت على الطّلائع . يا عُرْوة بن زيد الخيل !

عروة : (يتقدم حتى يختفي من المسرح) لبيك !

المثنى : أنت على الرِّدْء. أيها المسلمون، إني سأطُوف بكم صفاً صفاً وراية راية، لتَروْني جميعاً وتعرِفُوا هيئتي وهيئةَ فرسي الشموس . فوالله لتجدُنّي في مقدمتكم من القلب . يا معشر العرب ،إني لأرجو أن لا تُؤتى العربُ اليوم من قِبلكم . أيها الناسُ ، إن عدوكم يعبرُ النهرَ إليكم فدعُوه حتى يعبر بجميع أثْقاله وكُراعه لتكونَ نَفْلاً لكم إن شاء الله . أيها المسلمون ، كانتْ وقْعَة الجسر لهم علينا أمس ، فلْتكُن وقْعة البويب اليوم لنا عليهم .

صوت : أيها الأمير اسمَعْ . لقد أقبلوا في فِيلَتهم ولهم زَجل يُصِمّ الآذان ليرهبونا به ، أفلا نردُّ عليهم بمثله ؟

المثنى : كلا يا أخا العرب . إن ما تسمعونه فَشَل ووَهَن يريدون به أن يُدارُوا خوفَهم ،

فالزموا الصمت وائتمروا همساً .

صوت آخر : وأنهم لأضعافنا في العدد والعُدّة أيها الأمير.

المثنى : نحن معشرَ المسلمين ما قاتلْنا عدواً قط إلا كان أكثرَ منا عدداً وعُدّة ، فنصرنا الله عليهم في جُلِّ المواطن . أما هؤلاء العجم فوالله لقد بَلَوْتهم وبَلَوْتُ العرب في الجاهلية والإسلام، ولمائةٌ من العجم كانوا أشدَّ علينا من ألفٍ من العرب لما لهم في نفوس العرب من الهَيْبة ، أما اليوم فقد انقلبتْ الآيةُ . إن الله قد أذهب مصدرَ قوتهم ووهَّن كيدَهم، فلا يَرُوعَنكم زُهاءٌ تَروْنه ولا سوادٌ ولا قِسِيٌّ فُجٌّ ولا نِبالٌ طِوال ، فإنهم إذا أُعْجِلوا عنها أو فَقدُوها كالبهائم أينما وُجّهتموها اتّجهت . ولقد أيّد اللهُ العربَ ومنحهم القوة بأنهم حملةُ هذه الرسالةِ ، رسالةِ الحقِّ والعدلِ .

صوت : أيها الأمير آن لنا أن نتحرك صوْبَهم .

المثنى : يرحمك الله يا مُعَاذ بن الحارث ، فِيمَ العَجَلة ؟

معاذ : (صوته) إنهم قد عَبَروا جميعاً ولم يبقَ بالشاطىء الآخر إلا مَنْ لا ينوي العبور .

المثنى : يا أخا الأنصار حتى نسمعَ ذلك منهم هُمْ .

معاذ : (صوته) هَلاّ عاجلْناهم قبل أن يُثَبّتوا أقدامَهم في ساحلنا هذا ؟

المثنى : كلا لا ننْقُض العهدَ الذي أعطيناه لهم .

معاذ : أيها الأمير ألا تذكرُ يوم الجسر، فقد عاجَلُونا ولمّا يعبرْ بقيةُ رجالنا .

أصوات : أجل فلنعاملْهم بالمثل !

المثنى : أيها المسلمون نحن العربَ ما كنا نُجيز الغدر

في الجاهلية ، فكيف في الإسلام ؟

صوت : (من ناحية الفرس على يمين المسرح) أيها العرب ! أيها العرب !

المثنى : نعم !

الصوت : قد عبَرْنا فهل نبدأ أم تبدأون ؟

المثنى : (بصوته الجهوري) يا معْشرَ العجم، أنا المثنى ابن حارثة. أين بطلُكم ذو الحاجب بهمن جاذويه ؟ أخِفتم عليه منا أم هو الذي خاف ؟

الصوت : قد ذقتم من بهمن جاذويه ما يكْفيكم ، فذُوقُوا اليوم من مهران الهمذاني أشد مما ذقتم من ذي الحاجب .

المثنى : إن كان مهران هذا كما ذكرتم فليبْرُز لي .

الصوت : يقول أميرنا مهران : إنك يا شَيْباني لستَ

أهلاً لمبارزَته !

المثنى : قولوا له إذن إني ساقتلُه بسيفي هذا وهو بين رجالِه وحرسه ! أيها المسلمون إني مُكبّر ثلاثاً ، فإذا كبّرت الثالثة فاحملوا عليهم حَمْلة رجلٍ واحد ، ولْيَكْفِ كل واحد منكم قِرْنه ومن يَليه . أيها المسلمون الله أكبر ! استعدوا وتهيأُوا .. مَنْ ذلك الذي نَدّ من الصف ؟ ائتُوني به . مُعَاذ القاري ! يا أخا الأنصار ما حملك على ذلك .

معاذ : (صوته) لم أطق صَبْراً إذ رأيتُهم أمامي أيها الأمير .

المثنى : كلا لا تفعلْ . إلزم موقفَك ، فإذا أتاك قِرنُك فأغْنِه عن صاحبك ولا تستقْتل. عُد الآن إلى مكانك يا أبا حَليمة .

(بأعلى صوته) الله أكبر !

أيها المسلمون . . استعِينوا بالله وتوكّلُوا عليــه .

أيها المسلمون إنه النصرُ أو الجنةُ !

الله أكبر !

(يبدأ الهجومُ ويلتحم القتالُ) .

المشهد الثامن

بالبويب .

خيمتان متجاورتان : خيمة المثنى على اليمين ، وخيمة المعنى على اليسار . عند رفــع الستار نرى الخيمة اليسرى وحدها مفتوحاً بابهــا على المسرح ، حيث نرى شيرين جالسة ترعى مسعود ابن حارثة وهو جريح دنف .

مسعود : (كأنــه يَهْذِي من الحُمّى) لو كانتْ لك أختٌ يا شيرين لتزوجتُها .

شيرين : غداً حــين تُعَافَى إن شاء الله أزوجُك خيراً مني .

مسعود : فارسية ؟

شيرين : فارسية .

مسعود : هيْهات يا امرأةَ أخي ، لن يطلع عليَّ غدٌ !

شيرين : بلى يا مسعود ، ستُعافى وتبرأ من جرحك.

مسعود : أنصتي إلي يا شيرين . لا تكترثي لجرحي هذا واهتمي بجرح آخر .

شيرين : (تَجْفل) ماذا تعني يا مسعود ؟

مسعود : أخونا المثنى يا شيرين جُرحُه جرحٌ تالِف.

شيرين : يا ويلتا ، هل جُرحَ المثنى اليوم ؟

مسعود : لا بل يوم الجسر !

شيرين : (تزداد ارتياعاً) تعني الجرح الذي أصابه يوم الجسر ؟

مسعود : نعم .

شيرين : (تتنفّس الصعداء) ذاك جرح قد طابَ يا مسعود .

مسعود : إنما يزعم هو ذلك ويتجلّد حتى لا يُؤسينا عليه . حتى سلمى امرأته لا تعلم .

شيرين : والمثنى ؟

مسعود : ولا المثنى . لا يعلمُ ذلك غَيْري . اهتمّي به يا شيرين ... التمسي له الأطبة فهو يسمع لك . إن المثنى يا شيرين هو حياتنا .. هو شرفُنا ، هو عمادنا نحن بني شَيْبان ، وأنتِ اليوم منا يا شيرين ، أنت من آل شيبان . فأُوصيك بالمثنى خيراً . (يسترخي جَفْناه) النوم .. إني أريد أن أنام يا شيرين .

شيرين : (تجِس وجهه) الحُمَّى وَاقِدة . (تُدثّرُه بالغطاء وتبقى قليلاً كأنها تريد أن تتأكد من نومه ، ثم تقومُ وتنتحي رُكناً بعيداً في الخيمة فتجْهَشُ بالبكاء، وهي تُتمتم كأنها تناجي نفسها) آه مِنْ هذا الذي في صدْري! أيُّ عذابٍ وأي ألمٍ ! لكأنما أُطعَّن بخِنْجر

في حَتْفين - يا لعينين في قلبي يصْطَرعان أيها الند تريقا له: خيانتي للمسلمين يوم الجِسْر، وخيانتي لقومي اليوم؟ يا إلهي أمُسلمة أنا أمْ فارسية؟ فارسية مسلمة؟ مسلمة فارسية؟ (تسمع حِسّ قادم فتمْسَح دمعها وتتجلّد، وتجلسُ قريباً من فِراش مسعود).

(يدخل المغنى وخلفه المثنى وبشير).

المغنى : (بصوت خافض) أنائمٌ هو؟

شيرين : نعم.

مسعود : (يتحرك قليلاً ويَهذِي في نومه) يا معشرَ بَكر بن وَائِل! ارفعُوا رايتَكم رفعكم الله، لا يهُولنّكم مَصْرعي!

المغنى : استيقظَ؟

شيرين : لا بل هو نائم يَهْذِي.

المثنى : هذا ما قاله هملك في المعركة ساعة صُرع.

المغنى : (ينظر من مسعود كأنما يريد أن يوقظه) أتحلّ هو ذاته...

المثنى : مسعود! ... اليوم خير له. ترى ماذا فعل أنس بن هلال؟؟ (يخرج المثنى من الخيمة اليسرى فيكشف ستار الخيمة اليمنى، فإذا أنس بن هلال النمري على فراشه، وأمامه سلمى بنت أبي خصفة تسقيه الماء ومعها جهدمة زوجة بشير. يدخل المثنى وبشير، ثم يلحقهما المغنى).

المثنى : كيف حالُ جريحك يا سلمى؟

سلمى : ما أفاق من غَشْيته إلا منذ قليل.

أنس : (في جَذَلٍ ولهف) مثنى بني شيبان؟ كيف أنت؟ أنت بخير؟

المثنى : الحمد لله، وأنت يا ابنَ هلال كيف تجدك؟

أنس : بنعمة الله ونعمـــةِ السيد المسيح . حدثني يا رجل هل قتلتَ مهران إذ بارزْته ؟

المثنى : ويْحَك ، لقد كنتَ معنا فكيف لم تعلم أنني قتلته ؟

أنس : كل ما أذكره الساعة يا مثنى أننا خُضْنا إليه نحن الثلاثـــة حتى بلغناه ، فدعوتَه أنت للمبارزة فأجابك ، ووقفت أنا وابن مِردى الفِهْر نَحميك من غَدْر أصحابـه ، وكانت المبارزةُ حاميـــةً بينك وبين مهران ، ثم أُصِبْتُ فلا أذكر شيئاً بعد ذلك .

المثنى : إنما انهزَموا يا أنس لما رأوا قائدَهم مهران صَريعاً على الأرض .

أنس : بُوركتَ . قد علمتُ أنك ستكْفيه وإن كنتُ أشفقتُ قليـــلاً إذ رأيت الجوَال بينكما قد طال .

المثنى : أجـل ، أشهدُ أن مهران كان فارساً بطلاً ، وما أذكر أنني قابلت في العجم مثْلَه قطْ .

أنس : بلغني أنـك أخذتَ عليهم طريقَ الجِسْر فلم تُبقُوا منهم على أحد .

المثنى : أَجلْ ، وإني لنادمٌ على ذلك أشدّ الندم ، وقد خَطبْتُ في الناس آنِفاً فقلت لهم إنهـا زلّةٌ مني ، وإياكم أن تعودُوا لمثلها .

أنس : كنت تخْشى أن يستمِيتُوا ويستقْتلوا فتكون لهم الكرّة علينا ؟

المثنى : لا واللهِ ما كنتُ أخشى ذلك ، ولكن ليس من المرُوءةِ أن نَأبى الفِرار على قوم ارْتضَوْا لأنفسهم الفِرار .

أنس : صدقْتَ يا ابن حارثة .. لكن خبرني كيف حُمِلتُ أنا من ذلك المكان ؟

المثنى : حَملك ابن مردى الفِهر . أنا أمرتُه فطارَ بك

على فرسِه .

أنس : واستَطاعَ أن يمرُقَ بي بين صفوف العدو ؟

المثنى : كانت قلوبُهم قد طارت شَعَاعاً لمصرع مهران ، فلم يدْرُوا ماذا يصنعون .

أنس : أما أنا فما شَعَرت بشيء حتى وجدْتُني هنا في خيمتك ترْعَاني سلمى امرأتك ، جزاكم الله عني خيراً .

المثنى : بل جُزيتَ الخير يا أنس على ما أبليت معنا ، وأنت لسْتَ على ديننا .

أنس : يا رجل قد سمعنا أن كتابَكم الذي أُنزل على نبيكم يُكرّم المسيحَ بن مريم وأمه ، وينزّههما من العَيْب .

المثنى : أجل ، ذلك حق يا أخا تغلِب .

أنس : فذلك حَسْبي من ديني ، ويبقى بعد ذلك

لُحْمة النَّسب يا أخا شيبان ووحدة الأُرُومة . إني والله ما سَعِدتُ يوماً في حياتي ما سعدت اليوم إذ انتَصَفْتُم لنا من فارس . إن العربيّ لن يسْجدَ لكسرى بعد اليوم ولا لقيصرَ !

بشير : بل لن يسجدَ لهما غداً أحدٌ من البشر !

أنس : لا شأنَ لنا بمن سِوَى العرب ، يسجدون لهما أو لا يسجدون .

(يَهم بشير أن يرد عليه ، فيُومِيء له المثنى أن اسْكُتْ) .

المثنى : قد أطلْنا عليك يا أنس ولعل الحديثَ يُهيضُك ، فينبغي أن نترُكَكَ .

أنس : (كأنه يحاول الجلوس) كلا يا مثنى بل تحدثْ إليّ ، فما بقي من حياتي غيرُ هذه الحشَاشة . (يَسْعُل سعلة شديدة) هوّن عليك فإني أموت قريرَ العين يا أخا شيبان .. قرير

العين . (يموت) .

(يُقبّل المثنى جَبينَه، ثم يَسْحبُ عليه الثوبَ وهو دامِعُ العين ، والآخرون يشاركُونه الأسَى صامتين) .

(تدخل شيرين فَزِعة) .

شيرين : الحقُوا أخاكم ، إنه يموت !

(يُهرع المثنى والمعنى وبشير وسلمى وجهدمة إلى الخيمة اليسرى ، فإذا مسعود يجُودُ بنفسه وقد تسارَعتْ أنفاسُه وقبَضَ لسانه ، ثم ما لبث أن مات) .

(تنتحب شيرين باكيةً ويرتفع عَويلها ، وتحاولُ جهدمة وسلمى أن تصبّراها كأنما المصابُ مصابُها وحْدَها) .

(يُقبّل المثنى جبينَه كما فعل مع أنس بن هلال ثم يَسْحب عليه ثوبَه ، ويفعل المعنى مثله) .

(ترتَمي شيرين على المعنى فيضمّها إلى صدرِه مُواسِياً لها في حنان ، والدمعُ في عينيه) .

المثنى : (في أسىً يتمثّل) يا معشرَ بكر بن وائل ارفعُوا رايتَكم رفعكم الله ، لا يَهُولَنكم مصْرعي !!

ستـــار